نشأة علم نفس الطفل وتطوره

الاهتمام بالطفل ، ومحاولة التعرف على بعض خصائصه ، ومقومات نموه حيث ، امر في غاية القدم يعود بالتأكيد الى بدايات الوجود البشري وتكاثره وتزاوجه ، وتماسكه العائلي . فقد كانت الام ولا شك اول من احست بآثار الحمل عندها وادركت بعض خصائص النمو في مرحلته واحصت ايامه واسابيعه . وبتكرار الحمل ازدادت خبراتها وتجمعت بشكل جعلها قادرة على نقلها الى الاخريات من النساء . كما ان ذكريات الاباء ، والامهات والمحيطين بهم عن ايام طفولتهم كانت مصدرا آخرا من مصادر المعرفة في حقل الطفولة . اما المصدر الثالث فقد اعتمد على الملاحظات الموضوعة التي يواجهها الكبار للاطفال اثناء نموهم وتصرفاتهم في النوم واليقظة وفي الراحة واللعب والسكوت والكلام . وفي حالة الهدوء او الهيجان .

ان هذه المعلومات البدائية رغم بساطتها وعدم دقتها الا انها كانت في حينه مرجعا اساسيا في التعامل مع الطفل في حاضره والتنبوء عن مستقبله ومما يشير الى ادراك الانسان البدائي لحقيقة تطور الاجنة في ارحام امهاتها وتطورها بعد ولادتها ، ومن البراهين على اهتمامه بهذه الخصائص « انه رسم حياة الآلهة في تطورها مارة بادوار تشبه مراحل تطور الانسان منذ تكوينه حتى بلوغه الرشد حتى انه ان الآلهة بدأت بمرحلة تشبه مرحلة الاجنة ثم نمت حتى اكتملت في تصورها » (١) .

« اهمية الفلسفة في دراسة الطفل »

وبعد هذه المرحلة البدائية تطورت النظرة الى الطفل وطبيعة تكوينه كما

---

(١) فؤاد البهي السيد : الاسس النفسية للنمو ، ص (١٣ (الطبعة الخامسة نقلا عن

يتجلى ذلك في الفلسفات القديمة . فالفلسفة اليونانية القديمة كانت تنظر الى دور كل من المرأة والرجل في انجاب الاطفال نظرة خاصة ، فكانت تنظر الى الحيوان المنوى على انه انسان بكامل خصائصه ولكنه مصغر الحجم . كما ان الجنين ما هو الا طفل صغير وكذلك الحال فان الطفل انما هو رجل صغير وبذلك. تكون مسؤولية خصائص الطفل واقعة على الاب . اما وظيفة المرأة في حمله في رحمها وتزويده بالغذاء اثناء ذلك من جسمها ومن ثم ولادته بعد ان يكون قادرا على الحياة بالاعتماد على اجهزته مباشرة واما افلاطون الفيلسوف الكبير فقد انتبه الى الفروق الفردية بين الاطفال منذ ولادتهم وعلى اساسها بني نظريته في الدولة . كما اكد افلاطون على وجود الاستعدادات والقدرات الخاصة وحاول التوصل الى اختبارات خاصة للكشف عنها وتوجيهها نحو ما يلائمها .

اما ارسطو وهو من عظماء المفكرين اليونان فقد قال ان الحياة على الاغلب تنشأ من اجتماع مادة وصورة وهو في هذا المجال يعتبر المادة هي عضو التأنيث والصورة هي العضو الذكري . وبرأيه ان الاخير يدل على الكمال وعلى العقل ، اما عضو التأنيث فانه يدّل على النقص والانفعال ، وطبيعة المولود من حيث كونه ذكرا ام انثى تتوقف على خصائص كل من العضوين المذكورين عند التلاقح فاذا كان فعل عضو التذكير (الصورة) تاما وكاملا فنتيجة التلقيح تكون ذكرا ، واذا كان ناقصا تكون انثى .

وبعد ارسطو تنوعت الآراء عن الطفل من حيث خلقه وتكوينه وجنسه وظروف حياته بأختلاف الثقافات فمنها ما احاط الموضوع بأوهام سحرية وآراء خرافية زاولها الكهنة والسحرة كما هو واضح من دراسة تاريخ اوربا في القرون الوسطى . اما في البلاد ، العربية والاسلامية فان الموضوع يختلف عن ذلك بفضل الاسلام والثقافة العربية آنذاك والذي سنأتي على توضيحه بعد قليل — لقد استمر الحال في اوربا حتى بداية النهضة الحديثة حيث ظهرت افكار جديدة لفلاسفة وعلماء جدد منهم :

١ – جون لوك (John loke) ١٣٢
نزع غرائز الطفل الطبيعية
بضرورة ، تبديلها بعادات جد

٢ – كومينيوس (Comenuis) في
اختلافات اساسية بين شخصي
كتابه المشهور « العالم في صو
لدراسة الطفل لذاته

٣ – بستالوزي (Pestalozyi)
(١٧٧٤) عن حياة طفله البا
وهي بداية لدراسات تتبعية اخ
عند البحث في مناهج البحث في

٤ – جان جاك روسو (Rousseau
ضرورة اعطاء الطفل الحرية
وتنمية قدراته الموروثة .

« الطفل في الثقاف

اما في الثقافة العربية الاسلامية
الخرافة والسحر والخرافات فقد وض
الطفل وتطوره ، فجاء في سورة الش
ملك السموات والارض يخلق من ي
ذكورا ، او يزوجهم ذكرانا واناثا
وجاء في سورة المؤمنين آيات ١٢ و
خلقنا الانسان من سلالة من طين ،

١ – جون لوك (John loke) ١٦٣٢ – ١٧٠٤ وقد اكد على اهمية وضرورة نزع غرائز الطفل الطبيعية التي لا تخدم الحياة الاجتماعية ونانها بضرورة ، تبديلها بعادات جديدة تنسجم مع قيم المجتمع وحاجاته . .

٢ – كومينيوس Comenuis) في القرن السابع عشر : حيث اكد على وجود اختلافات اساسية بين شخصية الطفل وشخصية الراشد ، كما انه الف كتابه المشهور « العالم في صور » في سنة ١٦٥٧ ، ضمنه اشكالا وصورا لدراسة الطفل لذاته

٣ – بستالوزي (Pestalozyi) حيث بين في مذكراته التي نشرها سنة (١٧٧٤) عن حياة طفله البالغ الثالثة والنصف من عمره ،سلوك الطفل وهي بداية للدراسات تتبعية اخرى قام بها علماء آخرون سنأتي على ذكرها عند البحث في مناهج البحث في الطفولة .

٤ – جان جاك روسو (Rousseau) في القرن الثامن عشر حيث نبه الناس الى ضرورة اعطاء الطفل الحرية الكاملة في الافصاح عن نزعاته الفطرية وتنمية قدراته الموروثة .

« الطفل في الثقافة العربية والاسلامية »

اما في الثقافة العربية الاسلامية فقد كان فيها اثر القرآن واضحا في انكار الشعوذة والسحر والخرافات فقد وضح القرآن الكريم في عدة آيات طبيعة تكون الطفل وتطوره ، فجاء في سورة الشورى آية (٤٩) حول جنس الجنين (لله ملك السموات والارض يخلق من يشاء ، يهب لمن يشاء اناثا ، ويهب لمن يشاء ذكورا ، او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير .) . . وجاء في سورة المؤمنين آيات ١٢ و ١٣ عن بداية تكوين الانسان وتطوره (لقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا

النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ، ثم
انشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله احسن الخالقين . (كما جاء في القرآن الكريم عن
عن كيفية حصول الطفل على المعرفة ووسائلها الحسية ففي صورة النحل آية ٧٨
(والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع
والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون) .

وقد برز في ظل الثقافة العربية الأسلامية علماء كثيرون عالجوا بعض جوانب
علم نفس الطفل منهم :

١ ــ أبن مسكوية (٣٣٠ ــ ٤٢١ هـ) حيث عالج في كتابه الموسوم تهذيب
الاخلاق وتطهير الاعراق ، تطور ظاهرة النمو عند الانسان من طفولته
الى رشده كما ذكر اهمية العوامل والقوى المحركة لهذا النمو . .

٢ ــ ابن سينا (٣٧٠ ــ ٤٢٨ هـ) حيث اهتم بدراسة الطفولة المبكرة بأعتبارها
الاساس المهم لشخصيته وتكامله النفسي .

٣ ــ القابسي (٣٢٤ ــ ٤٠٢ هـ) له آراء مهمة في شرح تصرفات الفرد
وسلوكه الخلقي .

٤ ــ الغزالي : (٤٥٠ ــ ٥٠٥ هـ) اهتم بالجانب الانفعالي وعوامل تكوينه
واثره في التكوين النفسي للفرد .

٥ ــ ابن طفيل : (١١١٠ ــ ١١٨٥) وقد تجلت آراءه في (حي بن يقضان)
حيث عالج موضوع ما لدى الانسان الطفل من دوافع مثل حب الاطلاع
والحركة وغيرها .

« اهمية علوم الحياة في تطور علم نفس الطفل »

اثرت العلوم التي اختصت بدراسة الكائنات الحية من حيث نشأتها وتطورها
ووظائف اعضائها اثرا كبيرا في تطور علم نفس الطفل ومن النظريات المهمة

في هذا الموضوع والتي ادت
التفكير والبحث في علم النفس

١ ــ نظرية النشوء والارتقاء
التجربة الى الاهتمام
الحيوانات واصبحت
التلقيح حتى الطفولة و
نتائجها . واصبح كذل
بالطفولة .

كما اثارت نظرية النشو
سلوكه وبهذا المعنى اصبحت
لحظة تكوينه .

٢ ــ آراء مندل وقوانينه في
وجهت الانظار الى م
علاقة صفات الابناء با
والمكتسبة والبحث في
من نتائج هذه النظرية
البيئة والوراثة في سلوك

٣ ــ آراء بافلوف (Pavlov
والتشريح الفضل في
الى الفعل المنعكس (ا
توصل الى صياغة نظ
الشرطي) ، وقد تط
بافلوف متناولين فيها

في هذا الموضوع والتي ادت نتائجها الى تحولات بالغة الخطورة في اتجاهات التفكير والبحث في علم النفس هي :

١ – نظرية النشوء والارتقاء التي جاء بها دارون (Darwin) حيث ادت هذه التجربة الى الاهتمام بمتابعة مراحل النمو عند الانسان وعلاقته بنمو الحيوانات واصبحت الدراسات التتبعية التي شملت الانسان من لحظة التلقيح حتى الطفولة ومن الطفولة حتى الرشد كثيرة في عددها ومهمة في نتائجها . واصبح كذلك الالمام بعلم الاجنة شرط اساسي بثقافة المختص بالطفولة .

كما اثارت نظرية النشوء والارتقاء الاهتمام ببيئة الفرد واهميتها في توجيه سلوكه وبهذا المعنى اصبحت دراسة البيئة جانبا اساسيا من دراسة الفرد منذ لحظة تكوينه .

٢ – آراء مندل وقوانينه في الوراثة : إن دراسات مندل (Mendel) وقوانينه وجهت الانظار الى موضوعات ونواحي جديدة غاية في الخطورة منها علاقة صفات الابناء بالآباء والاجداد . والبحث في الاستعدادات الفطرية والمكتسبة والبحث في تفسير اسباب الشذوذ من الناحية الوراثية وقد كانت من نتائج هذه النظرية هو الجدل المستمر حول تحديد مسؤولية كل من البيئة والوراثة في سلوك الفرد .

٣ – آراء بافلوف (Pavlov) لقد كان لبافلوف وهو احد علماء الفسلجة والتشريح الفضل في اثبات ظاهرة الارتباط بين المثير والاستجابة المستندة الى الفعل المنعكس (١) والفعل المنعكس الشرطي (٢) وما ادى ذلك من توصل الى صياغة نظرية من اهم نظريات التعلم وهي (نظرية التعلم الشرطي) ، وقد تطورت الابحاث في الاتحاد السوفيتي على يد تلاميذ بافلوف متناولين فيها دراسة الاطفال في الحياة الواقعية ، كما احاطوا

بالكثير من المشكلات المدرسية كطرق التدريس ومحتوى المنهج والاثر المتبادل بين التعلم والنضج .

٤ ـ آراء العالم السويسري بياجه (Piaget) وهو ايضا من المختصين بعلوم الحياة حيث اكد على وظيفة السلوك التكيفية ومحافظته على التوازن بين الفرد ، وبيئته . ثم تطورت آراؤه الى نظرية شاملة في النمو العقلي مؤكدا على التفاعل بين النضج والخبرة ودورهما في تكون السلوك المعقد والعمليات العقلية العليا . وبحوثه وبحوث تلاميذه في هذا المجال كثيرة. وبدأ الآن الاهتمام بها بشكل ملموس وواضح في العالم اجمع وقد اجريت بعض البحوث في هذا الاتجاه من قبل الباحثين العراقيين .

٥ ـ آراء فيكوتسكي : (Vygotsky) من مشاهير علماء النفس في الاتحاد السوفيتي اولى اهتماما كبيرا لمشكلة نمو المفاهيم لدى الاطفال . وقد ميز بين المفاهيم العلمية التي يتم تعلمها بوعي واستخدامها بارادة ، والمفاهيم التلقائية ، الحياتية التواترة يوميا وذكر بأن هذين النمطين من المفاهيم يرتبطان ببعضهما ارتباطا مركبا ، كما يؤكد ان في بعضهما بطرق مختلفة . وقد نشر آراءه في كتابه « التفكير واللغة » الذي نقد فيه آراء (بياجيه) العالم السويسري المشهور في هذا المجال .

العلوم الانثروبايولوجية

ان العلماء الانثروبايولوجيين يهتمون بدراسة الانسان باعتباره كائنا اجتماعيا اي يدرسون سلوك الجماعات البشرية وعلى الاخص الجماعات البدائية. (وان كانت دراساتهم في الوقت الحاضر اخذت تتناول حتى المجتمعات المتحضرة) ومن اهم اهداف دراساتهم هي معرفة مقدار صدق القواعد والقوانين النفسية السائدة وذلك من متابعة مدى انطباقها على مجتمعات اخرى . كما تهدف دراساتهم الى التمييز بين السجايا والخصائص والدوافع الفطرية والمكتسبة وكيف

بالكثير من المشكلات المدرسية كطرق التدريس ومحتوى المنهج والاثر المتبادل بين التعلم والنضج .

٤ ـ آراء العالم السويسري بياجه (Piaget) وهو ايضا من المختصين بعلوم الحياة حيث اكد على وظيفة السلوك التكيفية ومحافظته على التوازن بين الفرد ، وبيئته . ثم تطورت آراؤه الى نظرية شاملة في النمو العقلي مؤكدا على التفاعل بين النضج والخبرة ودورهما في تكون السلوك المعقد والعمليات العقلية العليا . وبحوثه وبحوث تلاميذه في هذا المجال كثيرة. وبدأ الآن الاهتمام بها بشكل ملموس وواضح في العالم اجمع وقد اجريت بعض البحوث في هذا الاتجاه من قبل الباحثين العراقيين .

• ـ آراء فيكوتسكي : (Vygotsky) من مشاهير علماء النفس في الاتحاد السوفيتي اولى اهتماما كبيرا لمشكلة نمو المفاهيم لدى الاطفال . وقد ميز بين المفاهيم العلمية التي يتم تعلمها بوعي واستخدامها بارادة ، والمفاهيم التلقائية ، الحياتية المتواترة يوميا وذكر بأن هذين النمطين من المفاهيم يرتبطان ببعضهما ارتباطا مركبا ، كما يؤكد ان في بعضهما بطرق مختلفة . وقد نشر آراءه في كتابه « التفكير واللغة » الذي نقد فيه آراء (بياجيه) العالم السويسري المشهور في هذا المجال .

العلوم الانثروبايولوجية

ان العلماء الانثروبايولوجيين يهتمون بدراسة الانسان باعتباره كائنا اجتماعيا اي يدرسون سلوك الجماعات البشرية وعلى الاخص الجماعات البدائية (وان كانت دراساتهم في الوقت الحاضر اخذت تتناول حتى المجتمعات المتحضرة) ومن اهم اهداف دراساتهم هي معرفة مقدار صدق القواعد والقوانين النفسية السائدة وذلك من متابعة مدى انطباقها على مجتمعات اخرى . كما تهدف دراساتهم الى التمييز بين السجايا والخصائص والدوافع الفطرية والمكتسبة وكيف

تتغير هذه الدوافع وتختلف من حضارة الى اخرى فقد توصلت هذه الدراسات الى حقائق كثيرة تخص الاطفال منها وجود علاقة وثيقة بين تنشئة الاطفال الصغار في الشعوب البدائية وبين شخصيات الكبار في تلك الشعوب . ففي قبيلة (ارابش) في غينيا الجديدة يكون الطفل موضع مودة والديه . تقوم امه برضاعته كلما اراد وتتركه يرضع حتى يكف عن الرضاعة من نفسه . والام تحمل طفلها اينما ذهبت وهي قابلة بذلك راضية عنه . والطفل في هذه القبيلة لا يتعرض للعقاب الذي يتعرض له امثاله في قبائل اخرى لذا فان شخصيات هؤلاء الاطفال تتسم بالدعة والهدوء والتعاون ويميلون الى عقد الصداقات فيما بينهم ومع الاخرين ولا يرغبون في التنافس والعدوان والسيطرة .

في حين توصلت الدراسات المذكورة الى ان حال الاطفال يختلف عند عشائر اخرى مجاورة للاولى مثل عشيرة (موند وجومر (حيث وجد ان سلوك افرادها يتغلب عليه الغلظة والشدة والعدوان . وفي تقديرهم ان الرجل الجيد هو الذي يمارس هذه الصفات . كما ان المرأة الصالحة هي التي تشارك الرجل في عدوانه وخشونته . وقد توصل العلماء الى ان السبب في ذلك يعود الى ان تربية الاطفال في هذه العشيرة تقوم على العنف الشديد ، حتى وقت الرضاعة بحيث لا يمارسها الطفل الا عند الحاجة الشديدة وبسرعة لا تساعده على اخذ ما يكفيه منها كما انه ينام في سلال ، خشنة لا تحقق له الراحه في نومه ويقضته . الامر الذي حمل الباحثين على الاعتقاد بأن الاختلاف الموجود في شخصيات الكبار يرجع على الاغلب الى الاختلاف في تنشئتهم الاولى .

العلـوم الطبيـة

الطب الجسمي له علاقة قوية بمختلف مجالات علم النفس وفروعه وان هذه العلاقة تدرجت في قوتها كلما زادت المعرفة فيها عمقا واتساعا . وفي مجال علم نفس الطفل اصبح الاهتمام بالاثار المتبادلة بين نتائجه ونتائج البحوث

الطبية كبيرا . فكلاهما ينظر الى اهمية كل من الوراثة والبيئة وكلاهما يعني بمراحل النمو والمخاطر التي تعترض سبيل ذلك النمو . وكما يهتم الطبيب بالولادة ومخاطرها نرى عالم النفس يهتم بها ويتقصى آثارها على عقل الطفل وصحته الجسمية والعقلية . وعلى العموم فان المختصين بالطفل من الاطباء والمربين يعملون بجانبين متكاملين لشيء واحد . وان نتائج الفحوص والاختبارات الطبية اعطت نتائج مهمة بنيت عليها اجراءات مهمة في مجال علم نفس الطفل .

وقد احتوت السجلات الطبية في العيادات على ملاحظات إكلينيكية « ملاحظات سريرية مرضية » خاصة بالاطفال ضعاف العقول والشواذ والمنحرفين والمصابين بعاهات مختلفة وهذه الملاحظات ذات اهمية كبيرة في دراسات الحالات المشابهة من جهة والدراسات التتبعية بصورة عامة من جهة اخرى .

العيادات النفسيـــة

هذه العيادات كانت ذات اثر كبير في تطور علم نفس الطفل لانها تهتم بالجوانب المختلفة من شخصية الطفل وتتابع الوان شذوذه وجنوحه او اي نوع من انواع السلوك غير السوى الذي يأتي بسببه الى العيادة من اجل اعادته الى النهج الطبيعي بعد علاجه بما يناسبه من اجراءات واساليب كما ان هذه العيادات تمارس وظائف اخرى تتعلق باجراء عملية توافق بين الطفل وبيته وتعمل على التغيير اللازم في كل منها حسب المستطاع وقد يراجع هذه العيادات بعض الاطفال الذين يعانون من عجز في المجال الدراسي لا يمكن نجاوزه بالاعتماد على الفرد لذاته او على ابويه . ومهما يكن دور هذه العيادات ومستوياتها فانها ذات اثر كبير في توجيه الانظار الى بعض جوانب حياة الاطفال وبعض المشكلات التي تواجههم وافضل الطرق في ازالتها او على الاقل التقليل من آثارها السيئة على الفرد في حاضره ومستقبله .

الأطفال الجدد لان امعاءهم [illegible]
يتعرضون لاثار هذا النقص وهو حدوث النزف عندهم احيانا في اليومين الثاني والثالث . واذا حصل هذا النقص عند الكبار فانه يؤدي الى النزف الشديد وعدم تخثر الدم عند حدوث الجرح . وهذا الفيتامين يتوفر في انواع الخضر . . .

البيئـــة

تعني البيئة جميع المؤثرات التي يتلقاها الفرد منذ بدء حياته ، اي منذ لحظة التلقيح وتكوين الزيكوت حتى مماته . ان هذا التعريف للبيئة يحمل مفهوما ديناميكيا ، لان وجود اشياء مادية حول الشخص لا يعني أنها جزء من بيئته اذا لم يكن لها اثر في خبراته . كما ان هذا التعريف يتصف بالشمول لانه يتضمن جميع انواع المؤثرات ويغطي دائرة الحياة كلها او بالاضافة الى ما تقدم فان هذا التعريف يعالج النقص في معاني البيئة الشائعة بين كثير من الناس التي يقتصر بعضها على البيئة الجغرافية ، فيقال مثلا ان هذا الشخص من بيئة صحراوية او جبلية ، وبعضها ينحصر في المفهوم الاقتصادي الاجتماعي فيقال ان هذا الفرد من بيئة سكنية فقيرة ، وذلك من بيئة سكنية غنية ، والبعض الاخر يتعلق بالمستوى الثقافي فقط فيقال فلان من بيئة ثقافية عالية والاخر من بيئة ثقافية منخفضة . ان هذه التصنيفات تعتبر قاصرة من وجهة النظر السيكولوجية فلا يمكن ان

نجزم بان تلميذين في صف واحد هما في بيئة واحدة وذلك لما نتوقعه من اختلاف في موقف كل منهما من المدرس او من بقية الطلبة فقد تكون الاثار التي يتلقاها احدهما سلبية في حين تكون ايجابية للاخر .والبيئة بمعناها العام يمكن ان ندرسج تحت عنوانين هما :-

البيئة قبل الولادة (البيئة الجنينية) :

لقد كانت المعلومات المتعلقة بهذه المرحلة قليلة وغير دقيقة لانها لم تستند على اساس علمي دقيق لاسباب مختلفة منها :-

١ – وجود بعض الاعتبارات والقيم التي لا تساعد على التعمق في البحث والدراسة فيما يتعلق بالجنين وبالام الحامل وبالمظاهر والحالات ، التي تعاني منها اثناء فترة الحمل .

٢ – النقص في الجانب التكنلوجي الذي يحتاجه الباحث في بحوثه المتعلقة في الجنين وسلوكه والمؤثرات التي يتعرض لها وبالرغم من التطور الكبير في هذا الجانب في الاونة الاخيرة الا ان اهمية هذه الفترة تحمل الباحثين على المطالبة بالمزيد من الالآت والادوات والاجهزة اللازمة لذلك .

٣ – صعوبة المجازفة بحياة الجنين البشري او بتعرضه الى امراض او عاهات مهما كانت بسيطة لذلك فقد بدأت الدراسة بأجنة الحيوانات او بالاعتماد على الاجنة الساقطة بسبب حالات مرضية تصاب بها الام او بسبب الولادة التي تحصل قبل اكمال المدة الطبيعية للحمل .

ان هذه الصعوبات عبر مراحل زمنية مختلفة ادت الى نشوء بعض المعتقدات الخاطئة حول ما يحصل للجنين في هذه المرحلة منها ان ، خبرات الام السلوكية تنتقل الى سلوك ابنها كأن يكون حب بعض الابناء للموسيقى ناجم من ان امهاتهم استمعن كثيرا الى الموسيقى اثناء حملهن . او ان اطالة نظر الام الى وجه معين يؤدي الى ان يأتي وليدها حاملا صفات ذلك الوجه .

وما يظهر من علامات جسمية على اجسام بعض الاطفال سببه رغبات الام ومشتهياتها في فترة الوحام . . . الخ من الخرافات والمعتقدات التي لا يتسع المجال الى عرضها ومناقشتها ولكن يمكن القول عنها باختصار انها لا تستند الى دليل علمي مقبول .

العوامل التي تؤثر على الجنين في بيئته الجنينية : —

١ — أمراض الأم الحامل : بالرغم من ان المشيمة لا تسمح بعبور الجراثيم من دم الام الى الجنين ، الا في حالات قليلة منها : جراثيم امراض السفلس الا ان اثر الامراض التي تنتاب الام تكون فعالة في آثارها السيئة على وظائف اعضاء الجنين والذي تحمله اثناء مرضها . فاصابة الحامل بمرض الحصبة الالمانية او الحمى القرمزية يعرض طفلها في اكثر الاحيان الى حالات من العمى والصمم اوضعف القدرة على الادراك وعليه فان ذلك يجب ان تأخذه الام بنظر الاعتبار ، وتمتنع عن الحمل ما دامت مريضة او مهددة بالاصابة بالامراض المذكورة من اجل ان لا تقذف للمجتمع انسانا مريضا يعيش شقيا ويسبب الشقاء لغيره ولهذا السبب تقوم في العراق حملات واسعة تتناول تلقيح الفتيات قبيل الزواج بمصل يقيها من احتمال الاصابة بالحصبة الالمانية . وقد يكون اثر المرض على الجنين ناجما من ان نمو الجنين يسير بتتابع زمني محدد فاذا لم يحصل نمو عضو من الاعضاء في وقت زمنه المحدد فانه لن ينمو بعد ذلك . وعليه فان الام التي تعاني من المرض وهي حامل في شهرها الرابع فان العضو الذي يجب ان يتكون في فترة مرضها سوف لن ينمو او سينمو بشكل غير طبيعي .

٢ — غذاء الام الحامل : يسود الاعتقاد بأن بعض ما يعاني منه الاطفال من نقص جسمي او عقلي سببه ما تحمله الام من نقص في غذائها كما او نوعا اثناء حملها به ، وقد ايدت هذا الرأي الاحصاءات العالمية التي

اظهرت ان زيادة عدد حالات الضعف العقلي تنتشر في الدول الفقيرة بسبب قلة كمية الغذاء ورداءة نوعه . وقد يكون هذا السبب وغيره من الدوافع الاجتماعية والوطنية الاخرى هو الذي جعلنا نلمس بشكل واضح ما تقدمه حكومة الثورة في العراق من عناية واهتمام بالغ بمؤسسات رعاية الامومة والطفولة كتقديم المقويات وانواع الحليب الجيد مقترنا بالفحوصات والتحليلات من بداية الحمل والى ما تشاء الام وما تحتاج اليه هي ورضيعها . ان نقص غذاء الام الحامل يسهل اصابتها بامراض خطيرة لان الطفل اثناء الحمل يأخذ حاجته من المواد المختلفة كاليود والكلس من الام حتى وان كانت الام تعاني من نقص المواد المذكورة ولذلك فان الاطباء ينصحون الامهات بالاهتمام بالغذاء ، من حيث كميته ونوعيته .

٣ ـ الافراط في تناول المخدرات والمسكنات : لقد اظهرت اكثر الدراسات التي تناولت العلاقة المرضية بين الام والجنين ان ادمان الام على تعاطي ، المخدرات كالكحول والافيون او العقاقير الطبية الخاصة بتسكين الاوجاع يسبب تشويهات جسمية في كيان الطفل وانحرافات في قدراته العقلية . ان هذه الحالات لا تنتشر في مجتمعنا العربي في الوقت الحاضر لاعتبارات دينية واجتماعية ، اللهم الا ما يتعلق بالادوية والمسكنات التي قد يتحدد اثرها عن طريق الامتناع عن تناولها الا بعد استشارة الطبيب المختص .

٤ ـ الحالة الجسمية : ان التعب والارهاق الجسمي الذي تعانيه الام الحامل يعطي آثارا سيئة على نمو الجنين وعلى سلامة النتائج في تكامل تركيبه الجسمي . كما ان تعرض الام الى حالات قاسية من الصدمات الميكانيكية والالية ، قد يؤدي الى الاسقاط او الى ظهور عيوب وعاهات جسمية تظهر على الجنين بعد ولادته وتلازمه حتى مماته . الامر الذي يتطلب الحذر والعناية من قبل الام نفسها ومن قبل المسؤولين عنها في البيت

والمعمل والمزرعة .

٥ ـ اضطرابات الام انفعاليا : من المعروف ان الحالات الانفعالية تؤدي الى اضطراب عام في افرازات الجهاز الغذي للشخص المنفعل فترداد بعض الافرازات عن حدها الطبيعي وفي حالات الحمل تنفذ هذه الافرازات الى دم الجنين فتؤثر على وظعه الطبيعي وقد لوحظ ان جنين الام المنفعلة ترداد حركته زيادة ملحوظة اثناء انفعال امه . كما اظهرت الدراسات على ان ابناء الامهات اللاتي مررن بمواقف انفعالية مستمرة اقل وزنا من نظائرهم من ابناء الامهات اللاتي قضين حياة انفعالية هادئة اثناء فترة الحمل ، كما دلت الدراسات على ان لاتجاهات الام نحو الحمل والانجاب اثر واضح على الجنين ومن ثم سلوكه بعد الولادة فاذا كانت راغبة ومتعطشة لذلك فان الاثر يكون ايجابيا اما اذا كانت تشعر بالضيق من الحمل وغير راغبة بالاولاد فان الاثار تكون سلبية ان هذه النتائج رغم ظهورها لكن امر الفصل بين ما تحصل من الاثار اثناء الحمل او ما تحصل اثناء التربية بعد الولادة يواجه صعوبة كبيرة لان الام غير الراغبة في الحمل يستمر اتجاهها في التأثير في سلوكها اثناء معاملتها معه بعد الولادة . .

« الغـــدد الصمـــاء »

في جسم الانسان انواع مختلفة من الغدد ذات وظائف مهمة من اهمها : تكوين مركبات كيمياوية تعتبر من المقومات الاساسية لتركيب اعضاء الجسم ، وقيامها بوظائفها . والغدد على العموم تنقسم الى نوعين رئيسيين هما :

١ – الغدد القنوية : وهذا النوع يمتاز بان له قنوات تفرز من خلالها المواد التي سبق لهذه القنوات ان جمعتها من الدم اثناء مروره بها مثل الغدد الدمعية والغدد اللعابية ، وغدد العرق . ومن خصائص هذا النوع من الغدد انه يقذف افرازاته الى الخارج .

٢ – الغدد الصماء : المعروف ان هذه الغدد : لاتستعين بقنوات خاصة لافراز مركباتها كما هو الحال في الغدد القنوية ، انما هي تقوم بجمع المواد الاولية من الدم حين مروره بها ويتم تحول هذه المواد الى مركبات معقدة ، تدعى الهرمونات وتفرزها بعد ذلك في الدم مباشرة .

للهرمونات اهمية كبيرة جدا في تركيب جسم الانسان وتكامله وسلامته من الامراض من جهة ، وسلوكه من جهة اخرى . والغدد التي تفرز هذه الهرمونات منتشرة في الجسم ، خاصة في النصف العلوي منه تنظم نشاطه العقلي وفعالياته الحيوية العامة . وان الاضطراب او النقص في قيام الغدد المذكورة بتكوين الهرمونات نوعا وكمية ، يؤدي الى شذوذ كيان الفرد وسلوكه ، وبالرغم من ان لكل غدة افرازاتها المعينة من الهرمونات وان لهذه الهرمونات اعمالها واثارها المعينة على الجسم الا ان بينها نوع من الارتباط يؤدي الى التعاون ، والتكامل ، والتناسق ، وبفضل هذا يستطيع الجسم المحافظة على توازن ما يحتويه من هرمونات ومركبات كيمياوية اخرى . واذا زاد الاضطراب وعجز الجسم عن تحقيق هذا التكامل فان اثار ذلك تظهر على شكل حالات مرضية كما سنرى عند الكشف عن وظيفة افراز كل غدة من الغدد الصماء على انفراد .

لقد قلنا ان الغدد الصماء تنتشر في النصف العلوي من الجسم اي انها موجودة من اعلى الرأس حتى نهاية الجذع السفلي في مواقع ثابتة محددة كما يوضح ذلك الشكل رقم (١) . وعليه فاننا سراعي عند الكلام عنها تسلسلها في الموقع ، من الاعلى الى الاسفل حسب الترتيب التالي :

١ ـ الغدة الصنوبرية : موقعها في الدماغ بين فصي المخ من الخلف وتنشط عادة في الطفولة ، وتضمر قبل البلوغ . ولذلك فان بعض العلماء يطلق عليها وعلى الغدة التيموسية غدتي الطفولة .

٢ ـ الغدة النخامية : وهي غدة صغيرة يتراوح وزنها بين (٣٥٠ ـ ١١٠٠) ميلغرام وتوجد في الشق الاسفل بين نصفي الكرتين المخيتين ولاهمية هرمونها يطلق عليها البعض سيدة الغدد . The master Cland

٣ ـ الغدة الدرقية : موقعها في اسفل الرقبة امام القصبة الهوائية .

٤ ـ جارات الدرقية : وتتكون من اربع غدد صغيرة (فصوص) تكون حول الدرقية من الأمام .

٥ ـ الغدة التيموسية : وتوجد داخل تجويف الصدور في القسم العاوي منه وهي تنشط في الطفولة وتضمر قبل البلوغ وهي احدى غدتي الطفولة التي ذكرناها قبل قليل .

٦ ـ البنكرياس : تقع هذه الغدة اسفل المعدة بين ضلعي الاثني عشرى

٧ ـ الغدة الكظرية : وتقع فوق الكلية .

الغذاء والمـــاء :-

يعتبر الغذاء والماء من اساسيات الحياة ، ومن شروط استمرارها ليس للانسان فقط ، وانما لكافة الكائنات الحية . كما انه متغير اساسي في تكامل الفرد ونموه وسلامته في مختلف جوانب شخصيته . وتتجلى اهمية الغذاء بالجوانب التالية :

١ – الغذاء هو المادة الاساسية في تزويد الكائن الحي بالطاقة والطاقة الضرورية لعملية النمو وعملية الاحتراق وعملية تزميم الخلايا التالفة واعادة بنائها وعليها تعتمد حركة الانسان وفعالياته المختلفة . ومن اهم مكونات الطعام التي يحتاجها الجسم لتوفير الطاقة المذكورة هي البروتينات الكربوهيدرات والدهنيات . ومتوسط حاجة الفرد العادي الى السعرات الحرارية يتراوح ما بين ٥٠٠ سعرة في الطفولة المبكرة و ٣٥٠٠ سعرة في مرحلة الرشد بالرغم من ان هذه الكمية لا يمكن ان تحدد بدقة اعتمادا على العمر بل

لابد من ان يؤخذ بنظر الاعتبار وزن الجسم ، ونوع الانشطة والفعاليات التي يمارسها ، كما قد يكون لجنس الفرد اثر في ذلك حيث اثبتت بعض الدراسات ان حاجة البنين الى السعرات الحرارية اكثر من حاجة البنات لها (وقد يكون ذلك صحيحا على الاقل في اطار الانماط الحضارية القائمة الان) .

٢ — للغذاء في كميته وفي نوعيته اثر على نمو جسم الكائن الحي في ابعاده المختلفة كالطول والوزن والحجم ففي مجال الحيوانات توصلت الدراسات الى ان كمية الغذاء وطرق تنظيمه تؤدي الى خلق جيل اكبر في حجمه من الجيل السابق الذي لم يتمتع بالغذاء المذكور ، اما في مجال الانسان فان العملية اكثر تعقيدا ، حيث لا توجد مادة تحوى جميع المواد الضرورية بنسب متوازية وفقا لطبيعة الانسان وحاجته في النمو والفعاليات وعل ذلك فلكي ان نحقق ذلك لابد من ان يتناول الانسان اغذية متنوعة في كل منها بعض المواد الضرورية .

فمن مظاهر النقص في الغذاء الذي يحتوي على فيتامين (A) ان « يؤدي الى بطء النمو وضعف الشهية ، وضعف المقاومة ضد العدوى والامراض المعدية ، وجفاف الجلد وتقرن بصيلات الشعر ، واضمحلال الارجوان البصري ((Visual purple)) ثم ظهور حالات الاعشاء (عمي الليل) Night Blindness) وانحلال الانسجة الطلائية ثم تكوين خلايا قرنية (Cornified Cell) وتترسب هذه الخلايا على الخصوص في الجهاز البولي والتناسلي والتنفسي والهضمي وبازدياد شدة النقص بحيث التهاب تقرن العين » (١)

ومن اعراض سوء التغذية بسبب نقص المواد التي تحتوي على فيتامين

(١) مصطفى صفوت محمد وآخرون ، تغذية الانسان . ص ٣٠٥ — ٣٠٩

٣ ـ للغذاء اثره العميق في التركيب النفسي للفرد : ـ

ان الخطوة الاولى في علاقة الطفل بالمجتمع تكون عن طريق أمه او بديلها . وذلك لان الام هي المصدر الاول لغذاء الطفل وراحته وسعادته اثناء ذلك . ثم تتطور هذه العلاقة وتتراكم مكونة بعض اتجاهاته وعواطفه نحو الاخرين ونحو نفسه بسبب المواقف التي تواجهه اثناء تناوله طعامه كنوع الطعام ، والحالة النفسية للام ، والزمن المحدد للارضاع وغيرها من العوامل .

كما ان الغذاء الردىء قد يؤدي الى حالات جسمية مضطربة قد تؤدي الى

---

(١) المصدر السابق ص ٣٣٥ – ٣٣٧

(٢) نوري جعفر ؛ الفكر طبيعته و تطوره ص ١٩٦

ان تصبح مصدر ازعاج للطفل بسبب مواقف الاخرين منه او نظرته الى نفسه الامر الذي قد ينتهي به الى حالة من الشعور بالنقص . ان حالة الفرد النفسية تتأثر الى حد كبير بنوع الطعام الذي يتناوله بكثرة فالاكثار من اللحوم والدهنيات يؤدي الى ظهور هيجان انفعالي وتوتر عصبي في سلوك الفرد . اما الاعتماد الكلي على الخضروات والفواكه فانه يؤدي الى سلوك يتسم بالهدوء والخمول والاستسلام كما يؤدي الاكثار من تناول المسكرات الى حالات النشاط الفجائي الشديد الذي يعقبه عادة خمول مستمر .

٤ – للغذاء اثر كبير على ذكاء الفرد وتحصيله :

ان نقص الغذاء في نوعه او كميته يؤثر تأثيرا سيئا على خلايا المخ اكثر من تأثيره على خلايا جسم الانسان الاخرى فالنقص يؤدي الى خمولها وتثاقلها عند اداء وظائفها العقلية العليا . ان خلايا المخ تحتاج الى مقادير كبيرة من الغذاء ولهذا نجدها مزودة بشبكة واسعة ومعقدة من الاوعية الدموية تساعد على نقل الغذاء كما تمدها بالاوكسجين وتخلصها ايضا من الفضلات لاسيما ثاني اوكسيد الكاربون وقد اكدت البحوث البايوكيمياوية اثر التغذية في كيمياء الدماغ كما اشارت الى اثرها في التخلف العقلي . فقد اثبتت ان للكاربوهيدرات والشحوم والحوامض الامينية والزلاليات اثرا كبيرا في الوظائف المخية وقد لاحظ بعض المربين ان النقص الكمي او الحرمان النوعي في الغذاء يؤدي الى جعل التعلم جهدا ضعيف النتائج فقد توصلت احدى الباحثات (رونت هاريل) على نتائج ايجابية في تحسين تعلم بعض الاطفال عندما حسنت غذائهم وذلك بتناولهم حبة تحتوي على مليغرامين من فيتامين (ب ١) يوميا لمدة ستة اسابيع وقد قامت التجربة في احد ملاجيء الايتام وكان اطفال المجموعة الضابطة يتناولون نفس الكمية من الحبوب وفي نفس المواعيد . ولكنها خالية من الفيتامين المذكور . (١)

---

(١) جون كونجر واخرون : سيكولوجية الطفولة والشخصية ، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامه وجابر عبد الحميد جابر ص ٥٤٠